قبر معاوية بن ابي سفيان

تضاربت الأقوال وتعددت الروايات منذ القديم حتى يومنا هذا عن مكان قبر معاوية بن أبي سفيان منهم من جعله في الحائط القبلي من جامع دمشق في دار الإمارة الخضراء . وهو القبر المنسوب اليه في محلة معاوية بجوار قصر آل العظم من جهته الشرقية . ويزعم غيرهم انه في محلة النقاشات جنوب شرقي الجامع الأموي في الزاوية المعروفة بزاوية السنود . ويرجح آخرون انه في أقصى جنوب تربة الباب الصغير حيث هنالك قبر يزار ويتبرك به يعرف بقبر معاوية . ولم نعثر في مظهر هذه القبور على ما يستدل منه على صحة نسبتها او قدمها مما يرجح معه زعم على آخر . وجميع هذه القبور هي حديثة العهد صنعت من تراب وشيد عليها بيوت جديدة بسيطة الا قبر محلة النقاشات فقد شيد عليه قبة لطيفة أيوبية وهنالك من لا يسلم بواحدة من هذه المزاعم ويعتقد تلفيقها ويحكم بفسادها لأن دولة بني العباس قد نبشت قبور بني أمية ثم حرث مكانها وزرع نحواً من مائة عام[1] . فعفت بذلك آثارها وضاعت معها معالمها .

ولكل من هذه المزاعم أنصار يبرهنون عليها بنصوص تاريخية لا غبار عليها لو قبلت على علاتها . وهكذا نجد أنفسنا أمام وثائق وآراء متضاربة متباينة . يصعب معها الأخذ برأي دون سواه اذا لم يدعم مما يؤيد رجحانه .

ان واجب الباحث المدقق ان يرتاب بصحة أصدق الروايات اذا لم تتعدد مصادرها ورواتها . كما انه ليس له ان يهمل بلا تحقيق رواية او يستخف بها مهما بدت ضعيفة أو سخيفة . وليس لأحد ان يؤيد زعماً أو ينفيه ما لم يضع شتى الروايات في ميزان النقد والتمحيص فيأخذ ما رجحت كفته . وهكذا اهتدى المؤرخون والباحثون للحقائق وأصابوا لباب التاريخ الصحيح . وفازوا باستجواب الحوادث التاريخية مع ما فيها من شوائب وتضليل . فحلوا عقدها واوضحوا غوامضها . ان حوادث التاريخ سلسلة

(١) تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ٢٢٦ . تاريخ الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٦١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حلقات مرتبطة بعضها ببعض غير مستقلة . لها مقدماتها ولها نتائجها . وكل حادث لايستوفي هذا الشرط جاز لنا الحكم بفساده والطعن في صحته . وقد سلكت على هذا النحو في هذا البحث ملتمساً بعث الحقيقة من بين نصوص موثوقة ومزاعم واهية . عساي ان اوفق بفضل ما جمعته من الوثائق المبعثرة وبإرشاد زملائي الأعلام للوصول الى حقيقة تطمئن لها النفوس وتضع حداً لتبلبل الآراء في هذا الشأن

أجمع المؤرخون ان وفاة معاوية كانت بدمشق ودفن فيها . منهم من عين موضع قبره ومنهم من أغفله وأما النصوص القائلة بدفنه في الدار الخضراء فهي الآتية :

ا — قال المسعودي (المتوفى عام ٣٤٥) : توفي معاوية بدمشق سنة ٦٠ وله ثمانون سنة . ودفن بدمشق في الموضع المعروف بباب الصغير . وقبره مشهور في تلك المقبرة . وقيل بل في الدار المعروفة بدمشق بالخضراء الى هذا الوقت في قبلة المسجد الجامع .... وان الذي في مقبرة باب الصغير قبره هو قبر معاوية بن يزيد بن معاوية[١] .

وقد أضعف الشق الأول من هذا النص الشق الثاني ونفاه . ويتبين منه انه لم يشتهر وقتئذ سوى قبره الكائن في مقبرة الباب الصغير .

ب — وذكر ابن عساكر (المتوفى سنة ٥٧١) ما نصه :

وأما معاوية فمختلف في قبره . فيقال ان قبره خلف حائط المسجد موضع دراسة (القراء) السبع . والأصح ان قبره خارج باب الصغير[٢] . وهذا نص واضح لا يحتمل التأويل .

ج — ونقل ابن كثير (المتوفى سنة ٧٧٤) الرواية الآتية :

« ولا خلاف انه (أي معاوية) توفي بدمشق ..... ثم دفن فقيل بدار الأمارة وهي الخضراء . وقيل بمقابر باب الصغير وعليه الجمهور[٣] » . ويرجح أيضاً هذا النص دفنه في مقابر باب الصغير .

د — ونقل ابن قاضي شهبة (المتوفى عام ٨٥١) ما نصه :

« واختلف في قبر معاوية فيقال خلف حائط المسجد موضع القراء السبع .

(١) التنبية والاشراف ص ٢٦١ . (٢) التاريخ الكبير الجلد الاول ص ٢٦٥ .
(٣) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والأصح ان قبره خارج باب الصغير والله أعلم » . وهذه العبارة قد نقلت عن ابن عساكر بتحريف طفيف .

هـ — وذكر الحافظ بن طولون (المتوفى سنة ٩٥٣) ما نصه :

« في الحائط القبلي من جامع دمشق في تصر الأمارة الخضراء قبر معاوية وهو الذي تسميه العامة قبر هود عليه السلام[1] » . وهذا نص متأخر والوحيد الذي انفرد بهذا الزعم .

و — وأورد ابن الحوراني (من أعيان المئة العاشرة) العبارة الآتية :

ومنهم معاوية الذي [دفن] خارج باب الصغير فانه ابو ليلى معاوية الذي تولى نحو أربعين يوماً[1] » . وهذه رواية ضعيفة لا يعرف مصدرها .

ز — وزعم محمود العدوي [من أعيان القرن الثاني عشر] : ان القبر الذي بباب الصغير ويقال له قبر معاوية انما هو قبر معاوية بن يزيد بن معاوية هذا وليس معاوية ابن ابي سفيان . « ويقال ان معاوية بن أبي سفيان مدفون في حائط جامع دمشق خوفاً عليه من الخوارج » . وهذا نص متأخر لا يصح الأخذ به .

ويظهر من النصوص المتقدمة ضعف الرواية القائلة بدفن معاوية في دار الامارة الخضراء . وانما أوردها ثقاة المؤرخين كرواية ثانوية أبطلوها ونفوها .

وأما القبر المنسوب لمعاوية المعروف في محلة النقاشات فلم أهتد الى أي نص يشير اليه . وعليه يمكننا الحكم بفساد هذه الرواية الموضوعة . ولعل وجود هذه التربة المجهولة على مقربة من دار الخضراء حمل بعض الناس على نسبتها الى معاوية لا سيما وقد وجدوا في قدم عهد هذه التربه وحسن مظهرها ما يتفق مع مكانة معاوية من أي تربة أخرى غيرها في جوارها .

وأما روايات دفنه في مقبرة الباب الصغير فكثيرة وافرة ومن عصور مختلفة نورد أهمها:

١ — قال المسعودي [المتوفى عام ٣٤٥] ما نصه : « دفن [أي معاوية] بدمشق بباب الصغير وقبره يزار في هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة وعليه بيت مبني يفتح كل يوم اثنين وخميس[2] » .

(١) الاشارات الى أماكن الزيارات لابن الحوراني ص ١٠ (٢) مروج الذهب ج ٣ ص ٥٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ — وقال أيضاً ما نصه : « دفن [أي معاوية] بدمشق في الموضع المعروف بباب الصغير وقبره مشهور في تلك المقبرة [١] » . ويؤكد النصان شهرة القبر في ذاك العصر بأنه في الباب الصغير .

٣ — وذكر مؤرخ دمشق الحافظ ابن عساكر [المتوفى عام ٥٧١] العبارة الآتية : « قال ابن الاكفاني أراني الشيخ ابو محمد عبد العزيز بن احمد الكتاني [المتوفى سنة ٤٦٦] قبور الصحابة الذين بظاهر دمشق بباب الصغير وهم معاوية بن أبي سفيان . وفضالة بن عبيد . . وغيرهم وهم داخل الحظيرة مما يلي القبلة وابو الدرداء خارج الحظيرة وأم الدرداء خلفها » . وذكر أيضاً ما نصه : « قال يزيد بن احمد السلمي دفن في مقبرة الباب الصغير من الصحابة والمعروف منهم معاوية . الى ان قال : وأما معاوية فمختلف في قبره فيقال ان قبره خلف حائط المسجد موضع دراسة [القراء] السبع والأصح ان قبره خارج الباب الصغير [٢] » . وجميعها نصوص واضحة نيرة يؤكد فيها ابن عساكر دفن معاوية في باب الصغير .

٤ — وذكر ابن كثير [المتوفى سنة ٧٤٤] ما نصه : « صلى عليه [اي على معاوية] الضحاك بن قيس بعد صلاة الظهر بمسجد دمشق ثم دفن فقيل بدار الامارة وهي الخضراء وقيل بمقابر باب الصغير وعليه الجمهور والله أعلم » . الى ان قال عن رجوع يزيد بن معاوية من حوارين حينما بلغه وفاة والده . « فانتهى [أي يزيد] الى باب توما . فظن الناس انه يدخل منه الى المدينة فأجازه مع السور حتى انتهى الى باب الشرقي فقيل يدخل منه لانه باب خالد . فجازه حتى أتى باب الصغير فعرف الناس انه قاصد قبر أبيه فلما وصل الى باب الصغير ترجل عند القبر ثم دخل فصلى على أبيه بعد ما دفن ثم انفتل . فلما خرج من المقبرة أتي بمراكب الخلافة فركب [٣] » .

٥ — وذكر ابن الحوراني [من أعيان القرن العاشر] ما نصه : « منهم [أي من دفن من الصحابة في باب الصغير] معاوية بن صخر بن ابي سفيان الأموي . . . . . مات بدمشق ودفن بمقبرة باب الصغير وقبره معروف يزار ومبني عليه [٤] » .

(١) التنبيه والاشراف ص ٢٦١ (٢) التاريخ الكبير «طبع دمشق» ج ١ ص ٢٦٤ — ٢٦٥
(٣) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٣ (٤) الاشارات الى أماكن الزيارات ص ١٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٦ — وذكر ابن عبد الرزاق الدمشقي [المتوفى سنة ١١٣٨] ما يأتي : « مات معاوية بدمشق على الأصح ودفن بمقبرة باب الصغير وقبره معروف يزار مبني عليه قبة[١] » .

٧ — وذكر مثل ذلك أيضاً البصروي[٢]

٨ — وقال احمد العدوي الشهير بالمنيني [المتوفى سنة ١١٧٢] عندما عدد قبور الصحابة في دمشق . « منهم الصحابي الجليل سيدنا معاوية بن أبي سفيان الأموي ..... في مقبرة الباب الصغير . وفي جانب ضريحه من جهة القبلة قبر الصحابي الجليل ابي الدرداء عويمر الخزرجي ..... وزوجته التابعية ام الدرداء الصغرى قبرها الى جانب قبره وعلى رأس قبره حجر مكتوب عليه اسمه . وكان قبره وقبر زوجته ام الدرداء مكشوفين فبنى عليهما السيد محمد المرادي بناءً يحيط بهما له باب يفتح للزيارة[٣] » .

ان جميع النصوص التي أوردناها هي متسلسلة من القرن الرابع حتى يومنا هذا وتؤكد ان معاوية بن أبي سفيان قد دفن في مقبرة الباب الصغير ولكنها لم تعين الناحية التي دفن فيها ولذلك يتعذر معها تحديد قبره في مقبرة مترامية الأطراف . غير ان ابن عساكر قد خفف عنا العناء وحدد موضع القبر بقوله : داخل الحظيرة مما يلي القبلة . فسهل علينا بذلك البحث وهدانا السبيل القويم . وينطبق هذا التحديد على مكان القبر المنسوب اليوم الى معاوية الواقع في أقصى جنوب مقبرة الباب الصغير أي مما يلي القبلة كما قال ابن عساكر . وقد سبق للأستاذ عز الدين التنوخي ان نشر مقالاً بهذا الموضوع في مجلة مجمعنا العلمي عام ١٩٣٧ ننقل عنه نص الكتابات الموجودة على هذا القبر . الكتابة الأولى هي بخط نسخي من أواخر عهد المماليك نصها : (هذا قبر خال المؤمنين معاوية بن ابي سفيان كاتب الوحي ورديف رسول الله ﷺ) . والكتابة الثانية من العهد العثماني وهي : « هذا مرقد سيدنا معاوية رضي الله عنه . جدد هذا المقام صاحب الخيرات أدنوي الحاج محمد باشا محافظ الشام سنة ١١١٥[٤] » .

لا يعدم المرء باباً للطعن في هذه النصوص وهذه الوثائق لما في بعضها من غموض

(١) حدائق الأنعام في فضائل الشام (٢) تحفة الأنام في فضائل الشام (٣) الاعلام في فضائل الشام (٤) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ١٥ ص ٤٩٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وابهام وحداثة عهد . ولكن هنالك وثائق أخرى تزيل الشبهات ويتعذر معها الاشكال والتأويل لما لها من قيمة علمية وقوة استدلال محكمة . فقد عثرنا في تراجم طائفة من الصحابة والتابعين والعلماء والأمراء على انهم دفنوا في عصور مختلفة في مقبرة باب الصغير في جوار معاوية منهم ابو الدرداء وأم الدرداء والوليد بن عبد الملك وابو الفتح المقدسي المتوفى سنة ٤٩٠ واحمد بن السلطان نور الدين زنكي المتوفى عام ٥٤٧ والحافظ بن عساكر صاحب تاريخ دمشق المتوفى سنة ٥٧١ وشمس الدين الصرخدي المتوفى سنة ٧٩٢ وابن رجب المتوفى سنة ٧٩٥ وشهاب الدين احمد النابلسي المتوفى ٩٠٧ وابراهيم الناجي شيخ المحدثين بدمشق . وقد عثرنا صدفة في جوار قبر معاوية على ثلاثة من هذه القبور كانت شواهدها مردومة على عمق أمتار . الأولى منها هي شاهدة قبر ابي الدرداء . ظهرت عام ١٩٣٨ على نحو [٢٠] متراً للجنوب الغربي من قبر معاوية . كتب عليها بخط كوفي من القرن الرابع ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . لا إله الا الله محمد رسول الله . هذا قبر أبي الدرداء صاحب رسول الله . صلى الله عليه وسلم . رضي الله عنه . « وعثر بجوارها على الثانية وهي شاهدة أم الدرداء . وكتابتها من نوع الأولى ونصها : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا قبر أم الدرداء أحد اصحاب [كذا] رسول الله صلى الله عليه وسلم . رضي الله عنها » .

وقد سبق للأستاذ عز الدين التنوخي ان عثر عام ١٩٣٧ لصيق حائط بيت قبر معاوية الجنوبي على قبر عليه شاهدة حديثة العهد كتب عليها اسم ابي الفتح المقدسي وقد اعتمد عليها في مقاله ليثبت بها صحة نسبة هذا القبر الى معاوية . ولكن كتابة هذه الشاهدة الحديثة كانت علة الضعف فيها ولا يمكن للباحث ان يجزم بصحتها . وقد أبت الصدف الا أن تؤيد ما ذهب اليه الأستاذ عز الدين التنوخي . لأنه قد عثرنا بعد أشهر من نشر مقاله على قبر ابي الفتح المقدسي الحقيقي وذلك على نحو [١٥] متراً شرق قبر معاوية وظهر معه على عمق أمتار شاهدة قبره كتب عليها بخط كوفي ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . لا إله الا الله . عد للقاء الله . محمد رسول الله . هذا قبر الفقيه الزاهد الامام ابي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي الشافعي . رحمه الله .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

توفي في المحرم سنة تسعين واربعمائة » . وكل ما في هذه الشاهدة يدل على انها شاهدة قبره الأصلية التي عملت عند وفاته . والشواهد الثلاث هي مودوعة الآن في دار الآثار بدمشق .

ويتبين لنا مما تقدم ان مكان قبر معاوية قد اشتهر منذ أقدم عصور التدوين الاسلامي بأنه كان في باب الصغير . (قد عرفه المسعودي في سنة ٣٣٢ ووصفه بأنه عليه « بيت مبني يفتح كل يوم اثنين وخميس » ولو كان أمر تجديد هذا القبر بعد درسه قريب العهد من المسعودي لما أغفل ذكره . وأثبتت النصوص بأن العامة بقيت تكرم قبر باب الصغير وتزوره منذ ذاك العصر الى يومنا هذا . وهكذا حفظ العوام ما غاب عن الخاصة . ولا عجب بذلك لأن العامة خزائن تحوي الغث والثمين . كم من حقائق تاريخية واجتماعية ولغوية وعلمية تداولتها السنة العامة قروناً واجيالاً قبل ان يؤمن بها الباحثون وقبل ان يهتدوا الى صحة مصادرها . والعرب اسبق الأمم باعتماد الروايات والأخذ بها . حتى بالغوا في أهميتها وجعلوا الاسناد من أهم أسس تدوين علومهم الدينية والتاريخية .

وأما القول ان عبد الله بن علي العباسي قد نبش قبور بني أمية وأحرق عظامهم بالنار فهذه رواية لا يحسن قبولها الا بتحفظ كبير لأنها قابلة النقد والتفنيد . وان ذكرها من القدماء المقدمي[١] وياقوت الحموي[٢] وابن الأثير[٣] وابن العبري[٤] وابو الفداء[٥] وابن خلدون[٦] وابن الماروني[٧] وغيرهم[٨] . وان جاز لنا التسليم بصحة هذا الحادث فذلك لا ينفي الحقيقة التي توصلنا اليها . لأن وقوع هذا الحادث لا يمكن ان يغيب عن الأذهان ذكرى قبر معاوية لا سيما في مدينة كدمشق اشتهرت في كل أدوارها بتشيعها لبني أمية ووفائها لعهدهم . والأجدر بهذا الحادث ان صح وقوعه ان يقوى في نفوس مستنكريه الحرص على عدم ضياع هذا القبر . لتبقى ذكراه

(١) مروج الذهب جلد ٢ ص ٢١٣ (٢) معجم البلدان [طبع ليبزغ] جلد ٢ ص ٢٩٣ .
(٣) تاريخ الكامل ج ٥ ص ١٦١ (٤) مختصر الدول ص ٢٠٧ (٥) المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ٢١٢ (٦) كتاب العبر ج ٣ ص ١٣٣ (٧) تتمة المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٩٢ (٨) روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر لابن الشحنة المطبوع على هامش الجزء [١١] من تاريخ الكامل لابن الأثير ص ١٥٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عالقة في أذهانهم ماثلة لأعينهم . فيتناقلوا خبره جيل بعد جيل الى ان سنحت لهم الفرصة فجددوا فيها قبر معاوية على النحو الذي وصفه لنا المسعودي عام ٣٣٢

ومما لا ريب فيه انه كان لبني أمية تربة خاصة بهم وهي التي درسها العباسيون وحرثت وزرعت بعد ذلك نحواً من مئة سنة كما ذكره ياقوت الحموي . وأعتقد ان مساحة هذه التربة كانت ضيقة جداً ولا تتجاوز مساحتها (١٠٠٠) متر مربع أي ما يساوي مساحة باحة المدرسة العادلية . وهذه المساحة واسعة بالنسبة لقلة عدد خلفاء بني أمية وعدد من دفن منهم فيها . والمعروف ان نصفهم اي سبعة منهم ماتوا ودفنوا بعيدين عن دمشق . ولو أضفنا الى ذلك ما اشتهر عنهم من نلة الذرية وقصر عهد ملكهم لأصبنا الحقيقة في استنتاجنا هذا . وقد بلغ عدد خلفاء بني أمية اربع عشرة خليفة وحكموا ثلاثاً وتسعين سنة فقط مع انه قد طال حكم الفاطميين مائتين وثمانية وستين سنة وعددهم يساوي عدد خلفاء بني أمية . ولذلك لا يمكن ان يغيب عن الأذهان في مثل هذه التربة الضيقة آثار قبر مشهور كقبر معاوية مهما تعمد اعدائه في محوى آثاره .

ان الذي حملني على هذا البحث هو استنكار الناس الحالة التي عليها اليوم قبر معاوية وإهمال أمره حتى أصبح حقيقة عرضة للضياع والاضمحلال . ولذلك ارجو من مجمعنا العلمي ان ارتاح لما توصلت اليه في بحثي هذا وسلم بصحة نسبة هذا القبر الى معاوية ان يعمل لصيانة هذا القبر ويدعو الأمة حكومةً وشعباً للمساهمة في تجديد قبر معاوية وتشييد ضريح يليق بمكانة هذا الرجل العظيم كاتب وحي رسول الله ومؤسس أعظم دولة عربية عرفها التاريخ .

وبعد تقديم هذا البحث الى الطبع . تفضل الاستاذ الشيخ راغب افندي الطباخ وأرشدني الى نص عثر عليه في تاريخ القرماني ص ٢٦٢ نقلاً عن نجوم الزاهرة وهو : « ان احمد بن طولون قدم دمشق في سنة ٢٧٠ وعمر على قبر معاوية بباب الصغير قبة عالية وعلق فيها قناديل وجعل فيها القراء » . وأما عبارة النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٤٧ فهي : « وفيها (أي سنة ٢٧٠) بنى احمد بن طولون على قبر معاوية بن أبي سفيان أربعة أروقة . ورتب عند القبر أناساً يقرؤن القرآن ويوقدون الشموع عند القبر » .

جعفر الحسني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net